

## المشي الى كربلاء تحت المجهر

2016-11-14 محمد علي جواد تقي

ليس فقط في الزيارة الاربعينية، بل في جميع الزيارات المليونية، وربما في جميع الزيارات المسنونة الى مرقد الامام الحسين، حيث يتسابق الزائرون للوصول الى كربلاء، نلاحظ ظهور مشهدين بشكل غريب؛ الاول: العطاء في كل شيء، فهناك من يقدم الطعام والشراب، ومن يتكفل بنقل الزائرين مجاناً، ومن يتجشّم عناء السير على الاقدام، ومن يستضيف الزائرين في بيته، وأشكال تتنوع مع مرور الزمن، أما المشهد الثاني: فهو سيل من مشاعر الاحباط والفشل لدى البعض من حالات سيئة مثل الفقر وتدني الخدمات من ماء وكهرباء وطرق و... الى قائمة طويلة.

### يخاطبون المشاية!

الاموال تبذل بالملايين لإطعام الزائرين، بينما هنالك عوائل تعاني الجوع والفقر! والطرق الرئيسية تغطى بالمشاة على الاقدام، بينما البلد يعاني بالاساس أزمة الطرق الخارجية وفي داخل المدن، وفي زيارة مليونية مثل الاربعة، نلاحظ المشاة ومعهم مواكب جرارة تضم مئات الشاحنات والمركبات التي تبحث عن مكان للوقوف لفترات طويلة. وفيما تعاني مدينة مثل كربلاء المقدسة، من ضعف الخدمات البلدية، نرى ازدلاف الآلاف والملايين من الزائرين بين ازقتها الضيقة، مع أدوات الطبخ والاعداد الكبيرة من الماشية بقصد الذبح لتوفير اللحوم، وغير ذلك كثير...!

بإزاء ذلك كله، يخاطب البعض هؤلاء الزائرين بأن {أفيضوا علينا من الماء أو مما رزقكم الله!} فما المانع لو أنفقتم من بعض هذه الاموال الوفيرة لتمكين الفقراء من العيش في بيوت كريمة بدلاً من بيوت الصفيح، او تزويج العزاب او توفير نفقات التعليم او انقاذ حالات مرضية خطيرة...؟!!

و أعجب ما نسمع هذه الايام، أحدهم يتسائل عما لو كان بالامكان توجه حشود المشاة نحو "داعش"!!، هذا الخطاب لا يصدر من أناس عاديين، إنما ممن يعدون أنفسهم أصحاب رأي ومن حملة الفكر والثقافة، ويرون في انفسهم ما يمكن تسميته بـ "بيضة القبان" بين المجتمع والدولة،

لتحقيق العلاقة المتوازنة والعدالة بين الجهتين. بيد أنهم عندما يصلون الى الطريق الواصل بين هذا المجتمع والامام الحسين، تتغير لديهم المعادلة، ويصبح هذا الطريق هو "بيضة القبان" فينسون أنفسهم! ويلقون بالمسؤولية على الآخرين لأن يصلحوا ما أفسده الدهر، وهم لا يجهلون سبب ومنشأ الازمات، من فقر وأزمة خدمات أو أزمة الكتب الدراسية والامن وغيرها مما يجب أن تتحمل مسؤوليته الدولة، مع ذلك يطلبون كل ذلك من المواكب الحسينية، ربما لانها المقصد الأسهل والأقل كلفة من غيرها، فاذا كانت مظاهر البذخ والاسراف من احتفال ضخم لأسرة معينة او جماعة او مكان ما، هل كان بإمكان أحد التجرؤ على المطالبة بأن توجه بعض الملايين المسفوحة على الارض بهدف الشهرة واللذة العابرة، الى من هم بحاجة الى لذة الطعام والشراب والملبس والمسكن الكريم؟.

وإذا بحثنا في الاسباب التي تدفع اصحاب هذه المشاعر إزاء زيارة الاربعة، يمكن الوصول الى حقيقتين من جملة مسائل:

الاولى: سوء الفهم العميق لمشاعر للجمهور المتفاعل مع قضية الامام الحسين، عليه السلام، والاصرار على قراءة هذه القضية فكرياً، عاديين تجيش العواطف ومظاهر البكاء والتألم على مصاب الامام الحسين وأهل بيته، عقبة في طريق الفهم الذي يروونه صحيحاً، وهذا ما أدى الى حصول نوع من فتور العلاقة بين الجمهور وأهل الثقافة والفكر في مواسم الزيارة تحديداً، سواءً في الاربعة او قبله في ايام عاشوراء، وحتى سائر الزيارات المليونية، فبدلاً من توجيه هذه العواطف والمشاعر الصادقة نحو مسارات حضارية، من إصلاح وتغيير وتنمية، نلاحظ التنكيل والتجريح والنقد لهذه الظاهرة او تلك الممارسة العفوية في معظم الاحيان، فاصبح هؤلاء "المثقفون" جزءاً من المشكلة وليس من الحل، فاتسعت مساحة السطحية في الوعي بسبب الانشغال بالمهاترات والشد والجذب، بدلاً من تعميق الوعي بتعاطي عناصر الثقافة من مطالعة ومتابعة ونقاش ودّي ومثمر.

الثانية: الشعور المخيف من استمرار حالة تجاوز الجماهير للشريعة المثقفة وما تبذله من جهد في التنظير والتعليق، كما فعلت الجماهير من قبل، وبكل شجاعة؛ لشريعة الساسة بعد ثبوت فشلهم الذريع في إدارة شؤون الناس ورعاية مصالحهم.

و يعود منشأ هذا الشعور الى نفس هذه الشريعة التي طالما افترضت الجهل والامية وحاجة الناس

الى من يهديهم الى افكارهم ونظرياتهم، التي من دونها - كما يتصورون- فانهم في ظلال مبين!  
وبين "حوار الطرشان" والقراءات الخاطئة للمظاهر الاجتماعية، والإيغال في الاستهانة بمشاعر  
وعقول الناس، كان القرار الاخير من الجمهور العريض بأن تتولى هي بنفسها بلورة الرؤية الثقافية  
بما يعزز هويتها وانتمائها، وهذا ما نلاحظه في مسيرة المشي في زيارة الاربعين، وقبلها في ايام  
عاشوراء.

وبما أن المرتجى ليس فقط المواكبة، وإنما تقدم الشريحة المثقفة والمؤسسة الدينية والثقافية  
لمسيرة الامة نحو تحقيق الاهداف المنشودة، فاننا مطالبون بمزيد من التأني والمدارسة بطول نفس  
لحالة التفاعل الجماهيري مع القضية الحسينية، والوصول الى تفسيرات حقيقية لما يقومون به،  
وفي المقدمة "العطاء"، إذ ليس من المعقول أن تكتسب الجماهير ثقافة العطاء من عطاء الامام  
الحسين يوم عاشوراء، قبل ان يصل الى الفهم الى الشريحة المثقفة، لاسيما اذا كان بينهم علماء دين  
ومن خريجي الحوزات العلمية.